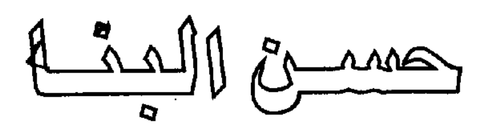
الإمام الشهيد الشيخ



السيد ابو الحسن على الحسنى الندوى

المجمع الإسلامي العلمي

ص . ب ١١٩ ندوة العلماء ، لكناؤ ، الهند

من مطبوعات المجمع الإسلامي العلمي

رقم ٢٨٢

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ ١٩٩٨ء

عدد الطبع ١٠٠٠

Rs 6/=

ص ، ب ١١٩ ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين، محمد و على آله وأصحابه أجمعين : اما بعد!

فهذه سطور كتبت كمقدمة وتصدير لكتاب الامام حسن البنا الشهيد" مذكرات الدعوة والداعية" منذ اكثر من ثلاثين سنة دبّجها يراع الداعية الجليل سماحة الشيخ ابوالحسن على الحسنى الندوى بعد طلب والحاح شديد من قبل الاستاذ الداعية المجاهد الدكتور سعيد رمضان صهر الامام البنا وترجمان الاخوان المسلمين بعد استشهاد الامام، والآن يقوم المجمع الإسلامي العلمى بطبع ونشر هذه المقدمة في رسالة مستقلة تعميما للفائدة واعترافًا بالحق وفاء بالجميل في عصر عم فيه النكران بالجميل والجحود بالحق، ومن ناحية أخرى تبذل الجهود للقضاء على البقية الباقية من آثار الحركات الدينية والشخصيات الدعوية المخلصلة ماديا

ومعنويا وتضييق الخناق عليهم تعذيبا وتشريدًا واحاطتهم بهالات التهم الباطلة، وزجهم بالسجون والمعتقلات وتقتيلهم بالمصادمات المفروضة واحيانا بمنعهم عن إبداء آرائهم بالخطابة والكتابة ضد الفرق الضالة والمغضوب عليهم وتارة عن طريق حذف النصوص الدينية في المناهج الدراسية والذى زاد هذا الطين بلة والشر تفاقما هو تعاون حكام العالم الإسلامي مع القوى المعادية (امريكا واسرائيل) في تنفيذ هذه المخططات عن طريق الاعلام والبث المباشر وبالحديد والنار إذا اقتضت الضرورة ، وكانت حركة الاخوان ضحية هذه المؤامرة خاصة والحركات الدعوية عامة ، ولا تزال هذه المجازر الرهيبة جارية على قدم وساق باساليب متنوعة من القمع والارهاب وتحول دون الصحوة الإسلامية التى تخرق الحواجز والأبعاد.

نظرًا إلى هذه المؤمرات التى تحاك ضدالحركات الدينية وقادتها وموجهيها وتضييق الخناق عليهم من كل جانب ، نرى اليأس يتسرب إلى الدعاة والمربين ويساورهم الخوف والقلق حول مستقبل الإسلام ورسالته الخالدة ، لذلك رأينا ان ننشر كتبا ورسائل تعيد في الدعاة والموجهين والطبقة

المثقفة الثقة بصلاحية الإسلام للقيادة البشرية في كل عصر ومصر، وتقدمه إلى الامام وشق الطريق في احلك الظروف والمحن والخروج من اشد الاحوال والنكبات ظافرا ومنتصرا([1]) على مدى اربعة عشر قرنا.

ظل سماحة الشيخ الندوى ولايزال متصلا بالعالم العربى وملما باحواله، مشاركا في سرائه وضرائه، ومطلعا-إلى حد كبير- على حركاته وتياراته كجزء كبير من وطنه الذى يعيش فيه وكقسم رئيسى قيادى من الأمة الكبيرة التى هو فرد من افرادها واقتنع بدراسته لتاريخ الماضى والحاضر وتجارب رجل ساهم في مسيرة الدعوة والصحوة الإسلامية في بلاده بتوفيق الله تعالى، انه لا يغير الوضع السائد على العالم الإسلامي - بما فيه العالم العربي - من الانهيار الذى يتهدده الا حركة دعوية قوية اساسها الايمان والتقوى والجهاد لاعلاء كلمة الله، ومن اهدافها تطهير المجتمع من الادواء الخلقية والاجتماعية، وايقاظ الوعى الاسلامى، المدنى والسياسى وتنميته، وتطبيق النظام الإسلامي في الاقطار الإسلامية،

([1]) كتابات سماحة الشيخ الندوى كلها تدور حول هذا الموضوع

ورأى ان الشر تفاقم وان الأمر اعظم من ان يتدارك بجهود فردية ودروس دينية والقاء مواعظ وخطب ونشر مؤلفات وكتب وسير الجمعيات سيرًا وئيدا . فالسيل لا يمسكه الا السيل مثله والتيار لا يدفعه الا تيار اقوى منه .

كان الشيخ الندوى قبل زيارته لمصر يعلم من مصادر موثوق بها وباخبار تكاد تكون متواترة ان حركة الاخوان كادت تحقق هذه الامنية ، فلما تحققت زيارته لمصر في سنة ١٩٥١م وجد ان هذه الحركة اثرت في حياة البلاد تاثيرًا قويا ، واجتمع عندها من قوة وايمان عميق وعمل قوى وعلم وحماس وتنظيم ودعوة ، زيادة على كل ذلك وجود القائد المهيأ لذلك والمختار له كالشيخ حسن البنا ما استطاعت به ان تغير اتجاه البلاد من اللادينية إلى الدين ومن الاستهزاء بالدين إلى التماسك والتفاخربه ، واوجدت في مجتمع مترهل عددًا كبيرًا من الشباب تعالوا عن سفاسف الأمور ، والدعة والراحة ، واثبتوا بطولتهم في حرب فلسطين وفي الاستقامة في المحن والشدائد ومواجهة الاغراءات المادية والفرص المتاحة للحياة الناعمة الرخيصة ، وتولى المناهب السامية الرفيعة .

قبل زيارة الشيخ الندوى لمصر كان كتابه الشهير ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين قد شق طريقه إلى اوساط الاخوان والمعنيين بالصحوة الإسلامية ووجدوا فيه طلبتهم ورأوا فيه صورة لما يطمحون اليه من الاعتزاز بالاسلام والحرص على عودته إلى مركزه الريادى والقيادى، وتقويم الحضارة الغربية وما تحمله من قيم ومثل وما تتمتع به من تنزيه وتقديس، في الاوساط المثقفة ثقافة عامة غربية عصرية تقويما علميا جريئا، فعنوا بدراسة هذا الكتاب حتى في المعتقلات عناية خاصة، وقرر في الكتب التى ينصحون بقراءتها والعناية بها فكان لقاء الشيخ الندوى مع الاخوان البارزين لقاء معرفة وثقة وتجارب في التفكير والانطباع، و وضعوا ثقتهم فيه واحلوه من قلوبهم وافكارهم محلا لا يحله زائر غريب، ونازل طارق، وخططوا له رحلات إلى الارياف والمدن يرافقه فيها بعض كبار الاخوان مثل الاستاذ الكبير فضيلة الشيخ محمد الغزالى، وسمحوا له بالحديث التوجيهى إلى مجموعة من الاخوان والمسئولين في مكتب الارشاد.

تجلت امام سماحة الشيخ الندوى بعد الحوارات والمقابلات وتبادل الآراء والاحتكاك المباشر مع كبار الاخوان

وقـادتهم جوانـب مشـرقة مـن الحركـة تسـتحق كـل تقديـر وتشجيع ، وجوانب تحتاج إلى مزيد من العناية ، وتلك طبيعة كل الحركات والمحاولات والتنظيمات والجمعيات بعد الجيل الإسلامي الدعوى الأول الذى نشأ في احضان النبوة وتخرج في المدرسة النبوية الاولي ، ولا يستثنى من ذلك صغير أو كبير وبعيد أو قريب ، والكمال لله وحده والعصمة لرسولهﷺ.

وقد اغرى الأستاذ الندوى ما لقيه من الاخوان من الثقة والتقدير والاستجابة الحسنة بان يسجل بعض انطباعاته ودراساته لحركة الاخوان ، ويعترف بها في سرور غامر واعجاب اخوى مخلص ، ويشير إلى بعض الجوانب التى تحتاج إلى مزيد من العناية ، والاهتمام ، وذلك في اقتصاد واحترام واتزان وانسجام ، ورأى ذلك حقا عليه وضريبة للحب والتقدير الذين اكرموه بهما ، فللحب والثقة ضريبة تدفع عن طواعية وسرور.

وقد بدأ الشيخ الندوى يسجل هذه الانطباعات والملاحظات بشئ من التخوف والحذر ، لأنه جرب ان بعض المنظمات يضيق صدرها وينفد صبرها بسماع الملاحظات التوجيهية والنقدية مهما كانت مخلصة متواضعة ، فلما

انتهى الاستاذ الندوى من الكتابة اجتمع مع اعضاء مكتب الارشاد في منزل المستشار منير دلة ، حضر فيه الأستاذ صالح عشماوى والأستاذ عبدالحكيم عابدين ، والأستاذ فريد عبدالخالق ومحمد الغزالى ، وبعد تعريف الحاضر القى الشيخ الندوى كلمته فسمعها الحضور باصغاء تام واقبال عظيم ، والاثر يبدو في وجوههم وعيون بعضهم، كما تجلى ذلك من تعبير وكيل الاخوان الأستاذ عبدالحكيم عابدين الذى قال انه وجد في هذه الكلمة صورة صادقة لفكرة الأستاذ المرشد ونفحة من نفحات تفكيره ، وأصحابه مغتبطون جدا بهذا التوجيه الاخوى ومقدرون له كل التقدير.

نشر هذا الحديث في رسالة مستقلة بعد تقديم الشيخ محمد الغزالى في القاهرة ، فلما نفدت الطبعة الاولى ، نشرت الطبعة الثانية بعد مقدمة المرشد العام الأستاذ حسن الهضيبى.

لا شك ان هاتين التزكيتين كانتا شهادة ذات قيمة كبيرة من قادة الدعوة والحركة وذلك إن دل على شئ فانه يدل على رحابة صدر قادة الاخوان وسعة نظرهم لما يزيد في ثروة الحركة وقوتها وافادتها مع غض النظر ممن تصدر هذه

الملاحظات وملابساته ووطنيته ومعرفته بدور الجماعة الدعوى والجذرى وما حققت من نجاح وتأثير في تاريخ الجماعات والحركات المعاصرة .

تدل هذه المقدمة على تقارب فكرى وانسجام عاطفى بين حركة ندوة العلماء وحركة الاخوان ، والثقة المتبادلة والتضامن الإسلامي الحقيقي والروح الاخوى السائد الذى يجب ان يكون بين الدعاة الاسلاميين المخلصين لله والمحتسبين رضاه والموثرين مصلحة الإسلام العليا ، كما يتجلى منها روح الإسلام العالمية التى قضت على كل نوع من انواع التعصبات والقوميات اللغوية والجنسية .

هذه المقدمة بمثابة ضريبة الحب التى تدفع إلى رجل موهوب ذى شخصية عظيمة اعدها اللّٰه تعالى لتربية الجماعة ولقيادة الدعوة التى لولاها لكانت مصر خاصة والعالم العربى عامة فريسة التحلل والتفسخ ، ولانهار المجتمع العربى ، ولكن اللّٰه سلم هذه الأمة وانقذها من الدمار والهلاك بتهيئة رجل ملأ القلوب ايمانا وعرفانا ، وملأ الحركة الإسلامية حيوية ونشاطا وحول جسمها البارد قلبا ثائرا ودما فائرا ، انه ايقظ النائمين ونبه الغافلين والحالمين ، وجعل من امة هامدة خامدة امة كلها

حركة ونشاط وعمل وجهاد وحركة تجمع من قوة الايمان وقوة العمل والعلم العصرى والتنظيم الحديث والادب والصحافة والتجارة ، مما جعل هذه الدعوة دعوة شعبية عصرية ، عامة ، ولان شخصية حسن البنا كانت شخصية فريدة يظهر من حياة صاحبها ونشأته انها قد اعدت لهذا الأمر العظيم اعدادا ، وقد كان يجمع بين الفهم الواسع للاسلام والغيرة الملتهبة عليه والنشاط الدائم والعمل المتواصل لاعلائه والخطابة الساحرة والشخصية الجذابة والنفوذ العميق في نفوس اصحابه واخوانه أو بلفظه نفسه هو الفهم الدقيق والايمان العميق والحب الوثيق .

نشر هذا الكتيب محاولة متواضعة إلى حد ولفتة دعوية للدعاة والموجهين لملأ الفراغ الهائل الذى يوجد اليوم في العالم العربى خاصة والعالم الإسلامي عامة ، هذه الفجوة الكبرى التى لولم تملأ بحركة ايمانية دعوية ايجابية قوية وشخصية جذابة لتحدث كارثة كبرى وتكون خسارة فادحة للدعوة الإسلامية لا قدر الله .

كما ان هذه السطور دعوة ولفتة إلى كل مسلم للاعتراف بالجميل والدعاء بالخير للدعاة والمربين والمجددين

والمجاهدين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا .

ربنا اغفرلنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم .

نذر الحفيظ الندوى

عضو المجمع الإسلامى العلمى

دار العلوم ندوة العلماء ، لكناؤ

٢٩/١١/١٤١٨هـ

٢٧/٢/١٩٩٨م

يوم الجمعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الإمام الشهيد الشيخ حسن البنّا

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

يسعد كاتب هذه السطور ويشرفه أن يكتب تصديرا أو مقدمة لكتاب " مذكرات الدعوة والداعية " للإمام الشهيد حسن البنّا رحمه الله ، ويعتبر ذلك من الأعمال التى يتقرب بها إلى الله ، ويحسن به إلى نفسه قبل أن يحسن بها إلى غيره، فهو كتاب ليس ككل كتاب ، ومؤلفه ليس كالمؤلفين ، وموضوعه ليس كالموضوعات التى يعالجها الكتاب ويتناولها المؤلفون والمحترفون في كل حين وفي كل مكان ، ويتهيب رجل مثلى في قلة بضاعته في العلم والعمل ، وفي تخلفه في ميدان الإصلاح والكفاح وفي مجال التربية والاخراج ، وفي حلبة التضحية والمحنة ، أن يتقدم للكتابة والتعليق على هذا الكتاب ومؤلفه العظيم ، ولذلك تأخرت كتابة هذه السطور مدة

استطالت حتى بلغ حرج النفس كل مبلغ ، وحتى غدوت أخشى وزرا احتمال مزيد من التأخير ومن حرمان الشباب المسلم وجنود الدعوة ورواد الاصلاح من خير وافر غزير.

كفى برهانا على خلود الإسلام وعلى أنه دين الله المختار الذى صنع ليعيش إلى آخر الزمن وعلى خلود هذه الأمة وعلى أنها هى الأمة الأخيرة ، وعلى أنها منجبة منتجة ، مورقة مزهرة ، وعلى أنها كنانة الله التى لا تنفد سهامها ولا تخطئ مرامها ، كفى برهانا على كل ذلك وجود هؤلاء المصلحين والمجاهدين والعباقرة والنوابغ ، والموهوبين والمؤيدين ، والمربّين ، وقادة الاصلاح الموفقين الذين ظهروا ونبغوا في أحوال غير مساعدة ، وفي اجواء غير موافقة ، بل في أزمنة مظلمة حالكة ، وفي بيئات قاتلة وفي شعب أصيب بشلل الفكر وخواء الروح وخمود العاطفة وضعف الارادة وخور العزيمة وسقوط الهمة ورخاوة الجسم ورقة العيش وفساد الأخلاق والاخلاد إلى الراحة والخضوع للقوة واليأس من الاصلاح ، وأصبح الجيل المعاصر كله كأنه طبعة واحدة من

كتاب واحد خرجت من مطبعة متقنة لا تختلف نسخها وصحائفها ، فحسبك أن تقرأ كتابا وتقيس عليه الباقي ، فلا تنوع ولا اختلاف ، ولا طموح ولا استشراف ، ولا قلق ولا اضطراب ، ولا تفرد ولا شذوذ ، ولا جدة ولا طرافة ، ولا شئ غير المعتاد ولا شئ فوق المستوى ، وأصبحت الحياة قطارا موحدًا تجره قاطرة واحدة ، هي قاطرة المادة والمعدة ، أو قاطرة الغرض والمصلحة ، أو قاطرة اللذة والمنفعة ، أو قاطرة القوة والغلبة ، ويدل كل شئ أن هذه الحياة قصة واحدة ، أو مسرحية قد أحكم وضعها واخراجها ، ويعاد تمثيلها على مسرح الانسانية ، أو على مسرح التاريخ الاسلامي ، ويلعب كل بطل من أبطال هذه الرواية دوره الخاص الذي أسند إليه بكل مهارة ولباقة ، ثم تنتهي هذه القصة في تصفيق المعجبين ودموع المتألمين .

وبينما يواصل هذا الركب سيره ، وهذا القطار سفره في غايات محدودة ، ومنازل معروفة ، وأصوات مألوفة ، ونغمات مكررة ، إذا بشخصية تقفز من وراء الأستار ، أو من

ركام الأنقاض والآثار، وتفاجئ هذا الركب الهادئ الوادع الذى لا يعرف غير الوصول إلى غايته المرسومة المحدودة، ولا يهتم الا بقوت اليوم وزاد الطريق وأمن السبيل وراحة الابدان تفاجئه بالدعوة إلى الإصلاح والحاجة إلى استئناف النظر والتفكير في الأوضاع العامة ومصير الانسانية ومسئولية الأمة التى اخرجت للناس، والثورة على الأوضاع الفاسدة والأخلاق الرذيلة والعقائد الضالة، والعادات الجاهلية، وعبادة البطون والشهوات، وعبودية القوة والسلطات، ويدعو إلى حياة كريمة فاضلة، وإلى مدنية سليمة صالحة، وإلى مجتمع رشيد عادل، وإلى إيمان عميق جديد، وإلى اسلام قوى حاكم، ويرفع بكل ذلك صوتًا مدويا عاليا يضطرب به الركب وتهتز به مشاعره وعواطفه وقيمه ومفاهيمه، ولا يستطيع أن يتغافل عنه أو يتجاهله أو يستخف به ويستمر في سيره غير مقبل عليه أو ملتفت إليه، بل يخضع له عدد كبير من أعضائه فينشقون عنه ويلتحقون بهذا الداعية، فيجعل منهم ركبا جديدا يثق بنصر الله، ويسير على بركة الله.

إن لهؤلاء الثائرين والدعاة المصلحين قائمة مشرقة مشرفة يتجمل بها تاريخ الاصلاح والدعوة ، ولا يخلو منهم زمان ومكان ، وقد كان صاحب هذا الكتاب الذى أتشرف بتقديمه من هذه الشخصيات التى هيأتها القدرة الالهية ، وصنعتها التربية الربانية ، وأبرزتها في أوانها ومكانها، وأن كل من يقرأ هذا الكتاب سليم الصدر، مجرد الفكرة ، بعيدا عن العصبية والمكابرة، يقتنع بانه رجل موهوب مهيأ ، وليس من سوانح الرجال ولا صنيعة بيئة أو مدرسة ، ولا صنيعة تاريخ أو تقليد ، ولا صنيعة اجتهاد ومحاولة وتكلف ، ولا صنيعة تجربة وممارسة ، انما هو من صنائع التوفيق والحكمة الالهية والعناية بهذا الدين وبهذه الأمة ، والغرس الكريم الذى يهيأ لأمر عظيم ولعمل عظيم في زمن تشتد إليه حاجته وفي بيئة تعظم فيها قيمته .

ان الذى عرف الشرق العربى الاسلامى في فجر القرن العشرين ، وعرف مصر بصفة خاصة ، وعرف ما أصيب به هذا الجزء الحساس الرئيسى من جسم العالم الاسلامى من ضعف

في العقيدة والعاطفة ، والاخلاق والاجتماع ، والارادة والعزم ، والقلب والجسم ، وعرف الرواسب التى تركها حكم المماليك وحكم الاتراك وحكم الأسرة الخديوية ، وما زاد إليها الحكم الأجنبى الانكليزى وما جلبته المدنية الافرنجية المادية والتعليم العصرى اللاديني ، والسياسة الحزبية النفعية ، وما زاد هذا الطين بلة من ضعف العلماء وخضوعهم للمادة والسلطة ، وتنازل أكثرهم عن منصب الإمامة والتوجيه ، وانسحابهم عن ميدان الدعوة والارشاد ، والكفاح والجهاد، واستسلامهم " للأمر الواقع " ، وخفوت صوت الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، زد إلى ذلك كله نشاط دعاة الفساد والهدم ، والخلاعة والمجون ، والالحاد والزندقة ، وتزعم الصحف والمجلات الواسعة الانتشار، القوية التأثير، للدعوات المفسدة، والحركات الهدامة والاستخفاف بالدين وقيمه ، والاخلاق وأسسها وما آل اليه الأمر ووصلت الأقطار العربية بصفة عامة، والقطر المصرى بصفة خاصة من التبذل والاسفاف ، والضعف والانحطاط، والثورة والفوضى ، والانهيار الخلقى

والروحى في الثلث الأول من هذا القرن الميلادى ، ورأى كل ذلك مجسما مصوّرا في أعداد " الاهرام " و " المقطم " و " الهلال" و " المصور " وفي كتب كان يصدرها أدباء مصر وكتابها المفضلون المحببون عند الشباب ، ورأى ذلك مجسما مصورًا في أعياد مصر ومهرجاناتها ، وحفلاتها وسهراتها ، وأستمع إلى الشباب الجامعى في نواديهم ومجالسهم، وزار الاسكندرية وشواطئها ومصائفها ، ورافق فرق الكشافة والرياضة والمباراة، ودخل دور السينما ، ورأى الافلام الاجنبية والمحلية ، واطلع على الروايات التى تصدرها المكتبة العربية في مصر بين حين وآخر ، ويتهافت عليها الشباب بنهامة وجشع ، وعاش متصلا بالحياة والشعب ، وتتبع الحوادث ولم يعش في برج عاجى ، وفي عالم الاحلام والأوهام ، وعرف رزية الإسلام والمسلمين ، ونكبة الدعوة الإسلامية في هذا الجزء الذى كان يجب ان يكون زعيما للعالم العربى كله ، وزعيما للعالم الاسلامى عن طريقه ، وقد بقى قرونا كنانة الإسلام ومصدر العلم والعرفان ، واسعف العالم العربى وأنجده بل انقذه في فترات دقيقة عصيبة في

التاريخ الاسلامي ، ولا يزال يحتضن الازهر الشريف أكبر مركز ثقافي اسلامي واقدمه .

ان كل من عرف ذلك عن كثب لا عن كتب وعاش متصلاً به ، عرف فضل هذه الشخصية التي قفزت إلى الوجود، وفاجأت مصر ثم العالم العربي والاسلامي كله بدعوتها وتربيتها وجهادها وقوتها الفذة التي جمع الله فيها مواهب وطاقات قد تبدو متناقضة في عين كثير من علماء النفس والاخلاق ، ومن المؤرخين والناقدين : هي العقل الهائل النير ، والفهم المشرق الواسع ، والعاطفة القوية الجياشة ، والقلب المبارك الفياض ، والروح المشبوبة النضرة ، واللسان الذرب البليغ ، والزهد والقناعة - دون عنت - في الحياة الفردية ، والحرص وبعد الهمة - دونما كلل - في سبيل نشر الدعوة والمبدأ ، والنفس الولوعة الطموح ، والهمة السامقة الوثابة ، والنظر النافذ البعيد ، والاباء والغيرة على الدعوة ، والتواضع في كل ما يخص النفس ... تواضعا يكاد يجمع على الشهادة

عارفوه، حتى لكأنه - كما حدثنا كثير منهم - مثل رفيف الضياء: لا ثقل ولا ظل ولا غشاوة.

وقد تعاونت هذه الصفات والمواهب في تكوين قيادة دينية اجتماعية، لم يعرف العالم العربي وما وراءه قيادة دينية سياسية أقوى وأعمق تأثيرا وأكثر انتاجا منها منذ قرون، وفي تكوين حركة اسلامية يندر ان تجد - في دنيا العرب خاصة - حركة اوسع نطاقا وأعظم نشاطا وأكبر نفوذا وأعظم تغلغلا في أحشاء المجتمع وأكثر استحوذا على النفوس منها.

وقد تجلت عبقرية الداعي مع كثرة جوانب هذه العبقرية ومجالاتها، في ناحيتين خاصتين لا يشاركه فيهما الا القليل (١) النادر من الدعاة والمربين والزعماء والمصلحين، أولاهما شغفه بدعوته وإيمانه واقتناعه بها وتفانيه فيها

(١) وكان من هذا القليل النادر الشيخ محمد الياس الدهلوي منشئ دعوة التبليغ وحركتها في الهند ونجله وخليفته الشيخ محمد يوسف المتوفى ١٩٦٥م، رضي الله عنهما وأرضاهما، فقد كانا مثالين فذين في هاتين الناحتين كلتيهما.

وانقطاعه اليها بجميع مواهبه وطاقاته ووسائله ، وذلك هو الشرط الأساسى والسمة الرئيسية للدعاة والقادة الذين يجرى الله على يديهم الخير الكثير ، والناحية الثانية تأثيره العميق في نفوس أصحابه وتلاميذه ونجاحه المدهش في التربية والانتاج : فقد كان منشئ جيل ، ومربى شعب ، وصاحب مدرسة علمية فكرية خلقية ، وقد أثّر في ميول من اتصل به من المتعلمين والعاملين ، وفي أذواقهم وفي مناهج تفكيرهم وأساليب بيانهم ولغتهم وخطابتهم تأثيرًا بقى على مر السنين والأحداث ، ولا يزال شعارا وسمة يعرفون بها على اختلاف المكان والزمان .

لقد فاتنى أن أسعد بلقاءه في مصر وفي غير مصر ، فقد كان العام الأول الذى كتب الله لى فيه الحج والزيارة وخرجت من الهند لأول مرة وهو عام ١٩٤٧ م هو العام الذى تغيب فيه الشهيد عن الحجاز ولم يغادر مصر ، وقد كان يحضر الموسم في غالب الأعوام ، ويحرص على نشر دعوته والحديث إلى وفود بيت الله الحرام ، وعلى السعى المجهد الحثيث في توثيق الصلات والعهود مع الوافدين من أنحاء عالم الاسلام كله .

بيد انى قابلت بعض تلاميذه ودعاته ، فلمست فيهم آثار القائد العظيم والمربى الجليل ، فلما قدر لى أن أزور مصر سنة ١٩٥١م كانت رحمة الله قد استأثرت به ولما يجاوز عمره بعد الثانية والاربعين أثر حادث استشهاده الذى أدمى نفوس ملايين المسلمين وحرم العالم الاسلامى هذه الشخصية التاريخية الفريدة ، ولا ازال أتحسّر على هذه الخسارة التى كتبت لى ، ولكنى اتصلتُ بتلاميذه اتصالا وثيقا ، وعشت فيهم كعضو من أعضاء اسرةٍ واحدة ، وزرت والده العظيم رحمه الله، واستقيت منه معلومات وأخبارا سجلتها في مذكراتى ، وقابلت زملائه وأبناءه، واجتمع لنفسى من كل هذه الآثار والأخبار ملامح الصورة العظيمة لصاحب هذه الدعوة ومؤسس هذه المدرسة ، انا واثق بأنها صورة صادقة مطابقة .

وفي تلك الرحلة وقع إلى هذا الكتاب " مذكرات الدعوة والداعية " فألفيته كتابا أساسيا، ومفتاحا رئيسيا ، لفهم دعوته وشخصيته ، وفيه يجد القارئ منابع قوته ومصادر عظمته وأسباب نجاحه واستحواذه على النفوس : وهى

سلامة الفطرة ، وصفاء النفس ، وإشراق الروح، والغيرة على الدين ، والتحرق للاسلام ، والتوجع من استشراء الفساد ، والاتصال الوثيق بالله تعالى ، والحرص على العبادة وشحن "بطارية القلب " بالذكر والدعاء والاستغفار، والخلوة في الاسحار، والاتصال المباشر بالشعب وعامة الناس في مواضع اجتماعهم ومراكز شغلهم وهواياتهم والتدرج ومراعاة الحكمة في الدعوة والتربية ، والنشاط الدائم والعمل الدائب ، وهذه الخلال كلها هى أركان دعوة إسلامية ربانية ، وحركة دينية تهدف إلى أن تحدث في المجتمع ثورة اصلاحية بناءة ، وتغير مجرى الحوادث والتاريخ ، لذلك كان أصحاب دعوة الإسلام وحملة أمانتها بل والعاملون في مختلف حقول الاصلاح بحاجة دائمة إلى دراسة هذا الكتاب ، وإعادة التامل العميق فيه الفينة بعد الفينة . فلا عجب أن ينعقد العزم على تجديد طبعه ونشره في الناس ، بل العجب ان تخلو منه مكتبة من مكتبات المسلمين .

أما بعد ! فقد كانت محاولة القضاء على آثار هذه الدعوة التى أعادت إلى الجيل الجديد في العالم العربى الثقة بصلاحية الإسلام وخلود رسالته ، وانشأت في نفوسه وقلوبه ايمانا جديدا ، وقاومت " مركب النقص " في نفوسهم والهزيمة الداخلية التى لا هزيمة أشنع منها وأكبر خطرًا ، والميوعة وضعف النفوس والانسياق تحت ربقة الشهوات والطغيان ، وخلقت - كما يقول شاعر الإسلام الدكتور محمد اقبال :" في جسم الحمام الرخو الرقيق قلب الصقور والأسود" حتى استطاع هذا الجيل ان يصنع عجائب في الشجاعة والبسالة والاستقامة والثبات .

لقد كانت محاولة القضاء على آثار هذه الحركة وطمس معالمها ، وتعذيب جنودها ، وتشريد رجالها ، جريمة لا يغتفرها التاريخ الاسلامى ، ومأساة لا ينساها العالم الاسلامى، وإساءة إلى العالم العربي لا تعدلها إساءة ، ولا تكفّر عنها أى خدمة للبلاد ، وأى اعتبار من الاعتبارات السياسية ، انها جريمة لا يوجد لها نظير الا في تاريخ التتار الوحوش وفي

تاريخ الاضطهاد الدينى ومحاكم التفتيش في العالم المسيحى القديم ، ولا حول ولا قوّة إلاّ باللّه .

أبو الحسن على الحسنى الندوى
غرة ذى الحجة ١٣٨٥هـ
١٩٦٦/٣/٢٤م
لكهنؤ يوم الخميس

